الموقع الرسمي لـ:

الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

تقوى الله تعالى

إعداد:

أ.د/ مُوسَى إِسْمَاعِيل

﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ [الفتح: 26].

والثّانية: التّجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك، حتّى الصّغائر عند قوم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَواْ﴾ [الأعراف: 96].

والثّالثة: أن يتنزّه عمّا يشغل سرّه عن الحقّ، ويتبتّل إليه بكلّيته، وهو التّقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: 102].

وقسّمها ابن جزي في تفسيره التّسهيل لعلوم التّنزيل إلى خمس درجات:

الأولى: أن يتّقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

والثّانية: أن يتّقي المعاصي والحرمات، وهو مقام التّوبة.

والثّالثة: أن يتّقي الشبهات، وهو مقام الورع.

والرّابعة: أن يتّقي المباحات، وهو مقام الزّهد.

والخامسة: أن يتّقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة.

خير الزّاد التّقوى:

خلق الله العباد وأسكنهم الدّنيا للتزوّدوا منها للآخرة، والفائز من تزوّد من دنياه لآخرته، والخاسر من عَمَّرَ دنياه وغفل عن آخرته.

قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿18﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿19﴾﴾ [الإسراء: 18 ـ 19].

وخير ما يتزوّد به الإنسان التّقوى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿197﴾﴾ [البقرة: 197].

والعبد الصّالح من تزوّد من دنياه لآخرته، لأنّه يعلم أنّ الدّنيا ليست وطنًا للإقامة فيها، فهو فيها كالغريب أو عابر سبيل، سرعان ما يرحل عنها إلى دار الإقامة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿18﴾﴾ [الحشر: 18].

وروى وكيع في أخبار القضاة عن شريح قال: «مَرَرْت مَعَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى المَقَابِرِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَقَابِرِ، أَمَّا الدِّيَارُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الأَمْوَالُ فَقَدْ اقْتُسِمَتْ، وَأَمَّا الذَّرَارِي فَقَد نُكِحَتْ، هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، هَاتُوا خَبَرَ مَا عِنْدَكُم، ثُمَ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الجَوَابِ لَقَالُوا: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: 197]».

والعبد إذا انقضت أيامه، وتناهت أعوامه، وتصرّمت أوقاته، ولم يشغل نفسه بأخذ الزاد، لمخذول محروم.

تقوى الله تعالى

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

حقيقة التّقوى:

التَّقوى والتُّقَى معناهما واحد، وأصلها من الاِتِّقَاءِ، وهو اتّخاذ الوِقَايَةِ، أي ما يَقِي الإنسان من الأذى.

وحقيقتها في الشّرع ما ذكره الطّبري وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾ [البقرة: 2] قال: «أي الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الهُدَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ بِالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ».

وروى الطّبري وابن أبي حاتم في تفسيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: 102] قال: «أَنْ يُطَاعَ فَلا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ».

وروى البيهقي في الزّهد الكبير عن أبي صالح قال: «قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: مَا التَّقْوَى؟ قَالَ:

أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الشَّوْكَ عَدَلْتُ عَنْهُ أَوْ جَاوَزْتُهُ أَوْ قَصُرْتُ عَنْهُ، قَالَ: ذَاكَ التَّقْوَى».

ويتلخّص ممّا سبق من النّقول أنّ التّقوى هي أن يقي الإنسان نفسه ما يوجب العقوبة، فكلّ من أطاع الله وعمل بما أمر به وانتهى عما نهى عنه، فقد اتّقى الله.

قال ابن كثير في تفسيره: «التّقوى: اسم جامع لفعل الطّاعات وترك المنكرات».

ومن اتّقى الله استحقّ المِنَّةَ والكرامة، وحاز سعادة الدّارين، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (35)﴾ [الأعراف: 35].

وجوب التّقوى:

أوجب الله تعالى التّقوى على عباده والآيات في ذلك كثيرة، نكتفي بذكر بعضها، فمنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ (1)﴾ [الحج: 1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ (102)﴾ [آل عمران: 102].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (18)﴾ [الحشر: 18].

وأمّا الأحاديث الواردة في الحثّ على التّقوى فأكثرُ من أن تُحصر، منها ما جاء عند أحمد والتّرمذي بسند صحيح عن أبي أُمامَة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ».

وروى أحمد والتّرمذي والدّارمي بسند حسن عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

مراتب التّقوى:

يتفاوت الناس في مراتب التقوى وإن اشتركوا في أصلها، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ (32)﴾ [فاطر: 32].

وقد قسّم الإمام البيضاوي في تفسيره التّقوى إلى ثلاث مراتب:

الأولى: التّوقّي من العذاب المخلّد في النّار، بالتّبرّي من الشّرك، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ